التأريخ والمؤرخون
في عصر الدولة العلوية – ج2

5ـ الرحـــلات:

فمنها: **"الإكسير في فكاك الأسير"** لأبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي المتوفي سنة 1799م، كتبها عن سفارته الأولى للسلطان محمد الثالث سنة 1779م، وكانت إلى ملك إسبانيا كارلوس الثالث في شأن عقد معاهدة لتجديد الصلح بينهما، مع افتكاك الأسرى الجزائريين بإسبانيا، يصف من خلالها البلدان التي مر بها، ولقاءه مع الملك الاسباني وزيارته إلى قصر الإسكوريال وإطلاعه على مجموعة الكتب العربية.

ومنها: **"الرحلة الإبريزية إلى الديار الانجليزية"** مؤلفها محمد الطاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفهري الفاسي، توفي سنة 1285ه/1868م، سفر فيها كاتب للبعثة التي وجهها السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى فكتوريا ملكة بريطانيا عام 1276ه/1859م.

ومنها: **"رحلة الوزير في افتكاك الأسير"**، للمؤلف محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي، وفي هذا الكتاب يتحدث عن سفارته إلى كارلوس الثاني ملك إسبانيا (1102ه/1690م)، شرح فيه ما شاهده في سفارته من العجائب والغرائب إلى بلاد الأندلس.

ومنها: **"نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد"**، للمؤلف أبي العباس أحمد بن المهدي الغزال الحميري الأندلسي، وهو عبارة عن قصة الرحلة التي قام بها إلى إسبانيا عند ملك كارلوس الثالث الاسباني سنة 1179ه/1766م. ساعيا من خلال ذلك افتكاك أسرى المسلمين في إسبانيا واسترداد الكتب العربية التي استولى عليها الإسبان (كتب المكتبة الزيدانية).

ومنها: **"رحلة الإسحاقي"**، للمؤلف أبي محمد الشرقي بن محمد الاسحاقي: هي رحلة قام بها إلى الحرمين الشريفين لأداء مناسك الحج، وكان ذلك على عهد السلطان محمد بن عبد الله.

ومنها: **"البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسرى الجزائريين بإسبانيا"** للمؤلف ابن عثمان محمد بن عبد الوهاب المكناسي، توفي سنة 1213ه/1799م، وهو عبارة عن سفارة قام بها المؤلف بتكليف من السلطان لافتداء الأسرى المسلمين .

ومنها: **"إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس، والتبرك بقبر الحبيب"**، وهو عبارة على سفارته الثالثة لابن عثمان، إلى اسطنبول ثم الحرمين الشريفين عام (1200ه/1785م).

أ- كبار مؤرخي الدولة العلوية:

1- **أبو القاسم الزياني**: يعتبر أبو القاسم الزياني وزير ومؤرخ الدولة العلوية، من ابرز من كتب عن تاريخ المغرب الأقصى الحديث، وكان منصبه الوزاري قد أعانه على ذلك؛ وهو ابو عبد الله القاسم بن احمد بن علي بن ابراهيم الزياني، ولد بمدينة فاس سنة 1147 هـ (1734 م)، نشأ تكون بها. يعود نسبه إلى صنهاجة، وينتمي إلى قبيلة "زيان" وبالضبط إلى "ايت مالو"، احدى مجموعات القبيلة الكبرى، التي كانت تنتشر بجبال الاطلس المتوسط جنوبي مدينة مكناس. نشأ بفاس وتعلم بالقرويين على يد كبار علمائها وفقهائها، وقد كان من نوابغ طلابها، هاجر مع أسرته إلى الحجاز سنة (1169 هـ / 1755 م) قصد الحج.

دخل في خدمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الذي عينه كاتبا للقصر الملكي بفاس، ثم تولى السفارة والكتابة والوزارة والقيادة، ولقب بذي الوزارتين، وعاش حياته بالقرب من ثلاثة سلاطين (محمد بن عبد الله، واليزيد و سليمان). كانت وفاته بفاس عام 1249 (1833م)، وعمره مائة واثنتين.

وتفقه الزياني على يد عدد من الشيوخ، منهم: أحمد بن طاهر الشركسي قد درس عليه السنوسية؛ محمد بن الطيب القادري (1183 هـ/ 1773 م)، درس عليه رسالة ابن ابي زيد القيرواني؛ عبد القادر بوخريص (1188 هـ/ 1774 م)، درس عليه ألفية النحو؛ محمد بن إبراهيم الدكالي (1184 هـ/ 1771 م)، درس عليه مختصر خليل والألفية؛ محمد التاودي بن سودة المري (1209 هـ/ 1795 م)، درس عليه صحيح البخاري والشفا؛ ابو حفص عمر الفاسي (1188 هـ/ 1774 م)، درس عليه مختصر خليل.

وعني الزياني بالتأليف خاصة في زمن عزله (1225 هـ(1809 م) إلى 1249 هـ (1834 م)، وبلغت كتبه حوالي 40 مصنفا، جاءت متباينة من حيث الشكل والحجم والمضمون، ومتنوعة من حيث الأغراض، ألف أكثرها بفاس من أهمها:

- **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب:** هدف المؤرخ من هذا الكتاب إلى وضع تاريخ ينطلق من بدء الخليقة الى عصره، فيذكر آدم عليه السلام ثم الدول التي قامت قبل الإسلام، بعدها عرض الدول الإسلامية بالمشرق والمغرب ونلاحظ أنه توسع في فصول خاصة بالعثمانيين والسعديين والعلويين.

- **البستان الظريف في دولة مولاي علي الشريف:** دوّن فيه تاريخ الدولة العلوية من نشأتها حتى 1233 هـ.

- **عقد الجمان في شمائل السلطان سيدنا ومولانا عبد الرحمن:** حيث تطرق فيه إلى أهم الأحداث التي شهدها عهد السلطان عبد الرحمن ابن هشام، وحركاته وأعماله.

- **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر ملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان:** لقد رتب الزياني مصنفه هذا على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة، خصص الحديث فيه عن عهد السلطان سليمان وأهم أعماله.

- **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا:** تحدث فيه عن سفره إلى اسطنبول في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وتعرض الى تاريخ المغرب والأنساب، وتاريخ الأمم والبلدان، ويشير إلى كيف تقلد الأعمال السلطانية، وكيف نكب أيام السلطان اليزيد، وزج به إلى السجن، وقد وصف الأقاليم السبعة من المغرب إلى أقصى المشرق.

- **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب:** رفع فيه نسب شرفاء المغرب، وذكر أصولهم الأول على حسب الترتيب.

- **الروضة السليمانية في ملوك الدولة العلوية ومن تقدما من الدولة الإسلامية:** تقع في مجلد ضخم رتبه على ثلاثة عشر بابا وخاتمة، في تلخيص الكلام على الدولة العلوية إلى سنة 1739 هـ، وهي نسخة مأخوذة من كتابه "البستان الظريف" مع بعض الزيادات.

وتعتبر مؤلفاته عن الدولة العلوية من اوثق واهم المصادر التاريخية، لمعايشته للإحداث وخبرته وتجاربه الطويلة في مجال المسؤوليات، وتمتاز بالدقة والضبط والموضوعية. وقد تعددت المصادر التي استعان بها في مؤلفاته خاصة في تاريخ الدولة العلوية، ووظيفته السامية في البلاط العلوي مكنته من الاطلاع المباشر على أحوال الدولة وتتبع أطوارها والاستفادة من وثائقها الرسمية المحفوظة في القصور المخزنية بفاس ومكناس كالرسائل ... لهذا تعتبر مؤلفاته من المصادر التاريخية القيمة التي تمتاز بالدقة والواقعية.

وهو يمتاز في تواريخه بتحليل الأحداث واستخراج خلفياتها وأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وظروفها وذكر المنشآت الحضارية والإصلاحات الاجتماعية والثقافية، كما يبدي رأيه في الأحداث بالتعليق والمقارنة أحيانا وتأليفه يغلب عليه الوفاء والأمانة ومنهجيته ليست مختلفة كثيرا عن المناهج الحديثة في كتابة التاريخ ففاق بذلك أقرانه واهل عصره .

كان الزياني رحمه الله، لا يخاف ولا يبالي، له حدة في لسانه وقلمه، ولهذا كثر خصومه، فاخفوا أثره الواسع ولم يكتبوا عنه إلا القليل، وانتقده أقرانه ومن بعده كعبد الرحمن الفاسي وعبد الوهاب بن منصور، وقال فيه عبد الله كنون:"وعلى كل فالزياني من اولئك الكتاب القلائل الذين

تظهر شخصيتهم القوية بين سطور كتابتهم عارية من كل تصنع. بريئة من كل تزيُّد. وإذا كان يبالغ أحيانا في ادعاءاته لنفسه واتهاماته لغيره، فإنما ذلك من سذاجته واغتراره بظواهر الأشياء...". وعلى كل تراثه يشهد له .

2ـ عبد الرحمن بن زيدان :

هو الشريف أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الملك بن زيدان بن السلطان اسماعيل". ولد بقصر المحنشة بمكناس عام (1290هـ / 1872 م)، ونشأ بها وترعرع حيث تلقى القرآن على والده وعمه عبد القادر، كما تلقى على فقهائها وعلمائها مبادئ الدين واللغة والأدب، ثم قصد فاسا لإتمام دراسته بجامع القرويين. وتضم قائمة مشيخته أكبر علماء المغرب ومنهم: أحمد بن الجيلالي الأصقاري، أحمد بن الخياط الزكاري، محمد بن قاسم القادري الحسيني، عبد الله الفضلي العلوي، العلامة الأديب أحمد بن المأمون البلغيتي، المؤرخ محمد بن جعفر الكتاني، الفقيه العلامة محمد بن عبد السلام كنون، الفقيه النوازلي المهدي بن محمد الوزاني. كما تتحلى تلك المشيخة بأشهر علماء مكناس في ذلك الوقت من الفقيه العلامة التهامي الموسى المدعو حداد وشيخ السلطان عبد الحفيظ والقاضي محمد بن أحمد السوسى، والمؤرخ الحسن بن اليزيد العلوي.

عاد النقيب ابن زيدان الى مكناس عام (1315ه الموافق ل 1897 م) وأسند له السلطان عبد العزيز نقابة الشرفاء العلويين وسنه لا يتجاوز العشرين عام. وفي عام 1913م رحل لطلب العلم، فحضر فيها دروس كبار علماء المغرب والمشرق، وأدى فريضة الحج. ثم شغل منصب المدير المدني للاكاديمية العسكرية بمكناس 1918 م؛ وشغف بالتاريخ وجمع الوثائق وإلقاء الدروس والمحاضرات، وتوج النقيب[1] شهرته العلمية بنيله جائزة المغرب في الأدب والتاريخ تقديرا لمؤلفه "الإتحاف" سنة 1936م؛ وفي عام 1938م قام برحلته الثانية الى المشرق زار فيه الحجاز والشام، وكانت رحلته الثالثة الى باريس زار خلالها عددا من المكتبات ونظر الى الوثائق والمحفوظات.

وخصص النقيب جزءا من نشاطه للبحث والتأليف، وأصبحت داره ناديا فكريا يلتقي فيه علماء المغرب بل علماء العالم، وأنشأ خزانة كتبه الحافلة الثمينة التي جمع فيها الوثائق الثمينة. توفي سنة 1946 م بمكناسة، وشيعت جنازته في محفل عظيم.وكان للنقيب مؤلفات كثيرة نذكر منها:

- **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**، يقع في ثمانية أجزاء، وهو من احسن المواد الحديثة لتاريخ المغرب، تحدث فيه عن مكناس وظروف نشأتها وترجم فيه أبرز.

– **إرشاد المستفيد لما للائمة من التفصيل في طبقات الاهل التقليد،** فرغ من تأليفه سنة 1334ه.

– **إعلام الحاضر والبادي،** بقطع أوداج من زعم أن الأدب في ترك مديح صفوة العباد وله عنوان ثان هو "إزالة الوهم والشكوى، عن من سلك في الشعر أقبح السلوك"، وثالث وهو " تغير الأسعار على من عاب الأشعار"، وقد جمع فيه عددا من القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، قد التزم أن يصدر في كل قصيدة بتعريف مختصر لصاحبها.

– **أوضح المجاز لمن استجاز وأجاز،** ويسميه أيضا : الاجهاز على الطاعن في المجيز والمستجاز.

– **بغية المستهام** ، قصيدة في المديح النبوي على قافية الميم، وقد شرحها صديقه محمد بن احمد العلوي الاسماعيلي بشرح سماه: " نيل المرام لبغية المستهام ".

– **تعريف بالدار البيضاء بمكناس؛** وهو رسالة وصف فيها قصر "الدار البيضاء" الذي اسسه بمكناس السلطان محمد بن عبد الله، وبها كان مقر الاكاديمية الملكية العسكرية.

– **جني الأزهار، ونور البهار (أو الأبصار) من روض الدواوين المعطار،** يتحدث فيه عن مسألة عبيد البخاري، وما زاج حولها والدفاتر المحتوية على اسمائهم، يقع في مجلد.

– **رحلته،** وصف فيها رحلته الثانية الى الحجاز ومصر وسوريا ولبنان عام 1938م.

– "الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة :"محاضرة قدمها المؤلف للمؤتمر الثامن لمعهد الدروس العليا المنعقد بفاس عام 1939م.

– **العز والصولة في معالم نظم الدولة "؛** وهي محاضرة ألقاها في المؤتمر الثامن لمعهد الدراسات العليا المنعقد بفاس سنة (1351ه/ 1933 م) حول نظام الدولة العلوية وآثارها، وهو يقع في مجلدين.

– النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية، يقدم فيه أحوال النهضة العلمية منذ بدايتها، يقع في مجلد.

– **المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل الشريف،** وهو عبارة عن ترجمة للسلطان اسماعيل، يبدؤها بأقوال وقصائد في مديحه، ثم نسبه، وبعض ما قيل في أشراف السلجماسة الذي ينتمي اليهم، ذكر صفاته وعلمه، ويستعرض علائقه السياسية مع مختلف الدول ومرسلاته ومعاهدة الهدنة والصداقة التي عقدها معها، يقع في مجلد واحد.

– **العلائق السياسية للدولة العلوية؛** وهو استعراض للعلائق الدبلوماسية للدولة العلوية، يقع في ثلاثة أجزاء.

– **فهرس ابن زيدان؛** ذكر فيه مشايخه بالمغرب .

– **محاضرة الأكياس ملخص تاريخ مكناس،** المناهج السوية في مآثر الدولة العلوية وقد ألف هذا الكتاب ليطلب من المجلس الاعلى ليدرس في القسم النهائي بجامعة القروين، وجدت نسختين منه .

– **المؤلفون ومؤلفاتهم في العصر العلوي؛** يتضمن تراجم المؤلفين على عهد الدولة العلوية مرتبة على حروف المعجم .

– **اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي؛** جمع فيه امداح طائفة من شعراء المغرب.

فالنقيب عبد الرحمن بن زيدان الذي تميز بتقديره للعلم والعلماء، وإبراز مكانتهم من خلال أعماله، وقد ألف العديد من الكتب؛ وهو بحق كما لقب مؤرخ مكناس حاضرته التي بها نشأ وفيها لقى الله.